كامب ديفيد: المواقف ـ النتائج ـ الانعكاسات

السعودية تعطي النفط مقابل الاتفاق ، والسادات يحوّل الوسيلة الى هدف ، وبيغن يستمر في بناء المستعمرات ، وكارتر يفتش عن القاسم المشترك

كارتر : الشريك الاساسي

بيغن : « المستوطنات خطوة ايجابية على طريق السلام »

وسط تكهنات متعددة ومتضاربة تجري اطراف قمة « كامب دايفيد » التعديلات النهائية الضرورية والطفيفة على مشروعاتها التي سوف تحملها معها ، ومنذ الاعلان عن تاريخ وقوعها استحوذت القمة المذكورة على اهتمام كافة الدوائر السياسية العربية منها والعالمية ذات العلاقة بالاوضاع في الوطن العربي ، والصراع العربي ـ الصهيوني القائم فوقه .

مصدر هذا الاهتمام ، ومصدر اهمية القمة نابع من « الاصطفاف الجديد » للقوى المتصارعة سواء التي تحضر ام لا تحضر ولكنها مثلت ، فبغض النظر عن النتائج التي ستتوصل اليها القمة ، فان انعكاساتها على اطراف الصراع ستكون واضحة وعميقة الى الحد الذي سيقود الى تفاعلات غير مباشرة بين المعسكرات الناشئة على ضوء ذلك . ففيما عدا ذلك ـ وهو ما لا يستهان به ـ لا تتجاوز القمة شأنها شأن « المبادرة » كونها خطوة متقدمة وواضحة على طريق التسوية التي ولجها العديد من الزعماء العرب ، ليس بعد مبادرة روجرز ، وليس بذهاب السادات الى « القدس » ولكن ربما منذ ان تجسدت الحركة الصهيونية في هذا الكيان العدواني .

■ المسافة بين المبادرة والقمة

حين اعلن السادات عزمه على زيارة الارض المحتلة سادت الساحة العربية موجة من عدم التصديق ، نسفتها « الزيارة » التي اعادت اصطفاف القوى في المنطقة العربية على النحو التالي :

● مؤيد صامت ، تزعمته السعودية ، التي سلكت طريق عدم مهاجمه الزيارة ، ولكن التخويف من عدم جدواها ، وسوء توقيتها . وحرصت على ان يكون اتجاه حركتها انحياز تدريجي وبطيء نحو النظام المصري ، ومساع متواصلة من اجل الحؤول دون استمرار الانقسام في « الصف العربي » . لان ذلك مناهض لاستراتيجيتها المرتكزة على « التضامن العربي » ، وفضلت ان تأخذ مواقع الصمت على صعيد مواقفها المنفردة ، والايعاز لحلفائها مثل « النميري » للاستعانة بالجامعة العربية للقضاء على اية محاولة لعزل السادات ، او احباط مبادرته .

لكن الاوضاع في لبنان ، والصدامات مع العدو الصهيوني في الجنوب ، كانت تحول دون وصول لجنة التضامن العربي التي ترأسها النميري الى نتائج ملموسة ، كما كانت تتوقع السعودية ثم جاءت احداث افغانستان ، وتلتها احداث اليمن ، وجميعها لا يمكن فصلها عن الوضع في الشرق الاوسط ، فلم يكن في وسع السعودية الاستمرار في « الصمت المؤيد » فافصحت عن موقفها الحقيقي في جولة فهد ، ثم لاحقا في التصريحات التي ادلى بها في مقابلته مع صحيفة « السياسة » الكويتية .

فبعد ان حذر من خطورة التفكك الذي يعاني منه العالم العربي ، دعا فهد الى « التفاهم والى اللقاء الحقيقي » مشيرا الى ان « مؤتمر القمة بحد ذاته ليس هو الهدف ما لم يكن مسبوقا بتنسيق حقيقي شامل » والذي هو في قاموس الرياض ، وفي هذا الوقت بالذات تسليم السادات ورقة موقف عربي موحد يلعبها على طاولة ضغوطات قمة « كامب دايفيد » ولم ينس فهد ان يشرح لماذا آيدت السعودية القمة الثلاثية ، لانها حسب رأيه « آخر جهد للوصول الى تسوية و اغلاق باب السلام » . وبالقدر ذاته اكد استمرار تعليق آماله على موقف الولايات المتحدة التي يطلب منها فهد « ان تكون حازمة وحاسمة . ، فليس لدينا كعرب ما نعطيه اكثر من ذلك » .

ومقابل هذا « الموقف الحاسم » المطلوب يلوح فهد بالثمن الذي ستدفعه السعودية حيث يقول : « ان بلاده ما زالت تعارض رفع اسعار النفط ، وترفض استبدال الدولار كعملة في تسعير النفط » ويعلل ذلك بانها ـ اي رفع الاسعار واستبدال الدولار ـ « ستؤثر سلبا على استثماراتها (استثمارات السعودية) ـ الضخمة بالدولار » .

هذا الصعود في الموقف السعودي من الصمت المؤيد الى المؤيد المطلق هو تمهيد للموقف الذي ستأخذه السعودية بعد اعلان نتائج المؤتمر . فهي من الان تكشف بعض اوراقها ، لكي نساعدها في اتخاذ الموقف والدفاع عنه . وهي بذلك ستعزز من قوة واندفاع تلك القوى التي ايدت « المبادرة » مثل المغرب وتونس ، وستوفر لها فرصة للتبشير بجدوى « المبادرة » واهميتها ، وقدرتها على انتزاع مكاسب فعلية للعرب !!

● الموقف الاخر تمثل في الرفض للمبادرة والذي تجسد في تشكيل جبهة الصمود والتصدي ، والمؤتمر الشعبي العربي ، الذي انضوى تحت لوائهما قوى كان القاسم المشترك الاساسي بينها جميعا هو « الرفض للمبادرة » ... وحتى هذا « الرفض » كان مفتقدا لاهم اسلحته والتي هي الاتفاق على الوسيلة التي يجب ان يستخدمها لاحباط الزيارة والنتائج التي افرزتها .

كانت بعض اطراف هذا الموقف ترى ان الوسيلة الوحيدة لاحباط الزيارة ونتائجها هي « الجماهير » بمعنى رفض التسوية من اساسها والاعتماد على الجماهير وتعبئتها واطلاق مبادراتها ، وتأطير نضالاتها ، والا فان «الرفض» يفقد معناه لانه ينحصر في اطار مرحلي جزئي ولا يتجسد في برامج عملية .

الا ان بعض اطراف اخرى اعضاء في جبهة الصمود والتصدي ، وفي المؤتمر الشعبي العربي ، كانت ترى في ذلك نوعا من « الابتزاز » و « التهور » . وكان هذا التمزق عامل اضعاف للجبهة اوصلها الى حالة « الشلل واللافعل » باستثناء « شجب » الخطوات التي اقدم عليها السادات من الزيارة الى اعلان الموافقة على حضور القمة .

هذا الواقع شجع السادات على الاندفاع في لقاءاته مع العدو الصهيوني ، وعلى زيادة اعتماده على الموقف الامريكي ، وبالقدر ذاته شجع « المؤيد الصامت » على الافصاح العلني عن الانحياز نحو السادات ، وعلى البدء في تقوية الجسور مع اطراف معينة داخل « الجبهة » .

■ التدحرج المصري

توهم السادات ان الزيارة ستعطيه « السلام » الذي عجزت حرب تشرين ان توفره . هذا الامر لا تخفيه بعض الاجراءات التي اقدم عليها خلال الاشهر المنصرمة ، وحيث جمد المحادثات الثنائية ما لم تغير « اسرائيل » من مواقفها ، وتتقدم ببعض الاقتراحات الجديدة .. ولا تطمسه التصريحات العنترية المتشددة .

في القدس ، كان السادات يتوقع ـ حتى وان لم يعلن ـ مردودات سريعة ، حيث آنه « تخطى الحواجز » ، وتجاوز « المعيقات النفسية » . وكان المفترض آن يكون الحوار المباشر ـ وحسب سياسة السادات ـ وسيلة للتوصل الى « سلام عادل » لكن بمرور الوقت ، وامام التعنت الصهيوني ، والعجز الامريكي عن ممارسة ضغط على العدو الصهيوني ، بدأ السادات يقدم المزيد من التنازلات ، كان اخرها حضور قمة « كمب دايفيد » الذي يعتبره النظام المصري وكما جاء على لسان بطرس غالي وزير الدولة المصري لشؤون الخارجية « فرصة .. وعلى اعلى المستويات لكي تعبىء الرأي العام العالمي بوجه عام ، والرأي الامريكي بوجه خاص ، لدعم الحقوق العربية والمساعي العربية الايجابية والحقيقية لايجاد السلام » .

هكذا يتحول كمب دايفيد في السياسة المصرية من قمة للوصول الى نتائج محددة الى مجرد وسيلة للتعبئة ، وهذا بالتالي هو حصيلة « الزيارة » بعد مضي ما يقرب من سنة على وقوعها ، فباعتراف غالي ذاته « ان زيارة السادات للقدس والولايات المتحدة واوروبا الغربية قد اظهرت ان هناك شيئا يدعى المصالح الاميركية ، وشيئا اخر يدعى المصالح الاسرائيلية ... واذا كان ذلك هو الحصيلة الوحيدة لهذه الزيارات فهذا امر رائع » .. ولكن يستدرك فيضيف « ولكن ليس الحصيلة الوحيدة » .

يتناسى الوزير المصري ويتعمد الثمن الباهظ الذي دفعته مصر ، وبالتالي العرب ، مقابل هذه الحصيلة الضئيلة فهو لا يتحدث مطلقا عن التفريط الساداتي بالحق العربي وبالذات حق الشعب الفلسطيني والذي قال السادات نفسه انه جوهر الصراع ، ولب المشكلة . فالاختلاف في المصالح .. هذه الحقيقة التي اكتشفها الوزير المصري ليست بذات الاهمية التي يعطيها هو لها ، فهي محددة بالمصالح الامريكية ـ الصهيونية المشتركة ، وبالدور آلذي تنفذه « اسرائيل » للدفاع عن هذه المصالح .

ومن منطلقات الموقف المصري المراهن على هذا الخلاف ، لا بد من التأكيد على ان « الاختيار » الامريكي بين العرب والعدو الصهيوني رهن بالموازنة الدقيقة بين مصالحها الهائلة في الوطن العربي ، والدور الذي تلعبه « آسرائيل » في الدفاع عن هذه المصالح .

ان الامبريالية الاميركية لا تزال ترى في « اسرائيل » حليفا لا يمكنها التفريط به حتى امام مصالحها في المنطقة العربية .. وسوف تستمر في اتخاذ هذا الموقف ، ما لم تتغير موازين قوى الصراع العربي ـ الاسرائيلي لصالح الطرف العربي من جهة ، ويملك العرب قوة ضاربة ذات مستوى عسكري وسياسي يؤهلهم لتهديد الامبريالية الامريكية والعدو الصهيوني

السادات : بحاجة ماسة لمؤتمر ناجح

من جهة اخرى . وفي غياب ذلك ، يبقى الحديث عن «الخلاف الصهيوني ـ الامريكي » والتعويل عليه ضرب من حقن التخدير للحد من القتال ضد الامبريالية والصهيونية . هذا الوهم المصري مصدره اللهث وراء حل سريع للصراع ، واندفاع النظام المصري من آجل توفير كل العوامل الضرورية لانجاح المؤتمر .

■ الثبات الصهيوني

من « المبادرة » والى الموافقة على حضور « كمب ديفيد » لم يتغير جوهر الموقف الصهيوني ولم تجر الا تغييرات شكلية على المشروع الذي تقدم به « بيغن » والذي استمر القاسم المشترك لدى كافة القوى السياسية الاساسية في الكيان الصهيوني . ولا يزال هذا هو الموقف ففي المقابلة التي اجرتها مؤخرا مجلة « نيوزويك » مع رئيس الوزراء « الاسرائيلي » ادعى بيغن تمسكه بالسلام وحرص « اسرائيل » على احلاله ، ولكنه استمر في الدفاع عن سياسة اقامة المستعمرات . والسلام الذي يريده « بيغن » والذي تضمنته الوثيقة التي سيأخذها معه الى كامب ديفيد (وهي تقع في مئة صفحة) والتي لم يكتب منها سوى نسخة واحدة بخط اليد ، اطلع عليها الوزراء بشكل منفرد ولم يسمح لاي منهم بأخذ صورة منها خارج مجرد اللقاء الذي تم مع بيغن ، هذا السلام ، تعتقد مصادر مطلعة انه مبني على برنامج « الليكود » ذو الست والعشرين نقطة ، ويعتقد بيغن ان بناء المستعمرات « ليس معيقا لمشروعات السلام ، وانما هو جزء من خطة السلام » ، واكد انه « سيقول ذلك في كامب ديفيد ، على الرغم من شعوره باختلافه حول هذه المسألة مع كارتر الذي يدعي بيغن ان « من حقه ان يقدم اية مقترحات يريد » ولكنه ينصحه « ان يقوم بدور الوسيط الامين ويجمع الطرفين وجها لوجه » بكلام اخر لا يريد بيغن من كارتر ان يتحول من وسيط الى شريك كما يدعو السادات .

وسط هذه المواقف المصرية ـ الصهيونية يبرز الموقف او بالاحرى المواقف الامريكية التي يريد كارتر ان يعبر عن محصلتها آو قواسمها المشتركة . فمن جهة يقول المستشار السابق لشؤون الشرق الاوسط جوزيف سيسكو « آن كارتر سيقدم سلسلة مقترحات محددة وعملية ، وبانه (الرئيس الامريكي) سيكون لولب الحركة اذ سيفاوض حول عناصر التفاهم بين الجانبين المصري والاسرائيلي ، الا آن من جهة اخرى نرى والتر مونديل نائب الرئيس الامريكي يصرح « ان الرئيس كارتر سيبحث ويحفز قادة مصر واسرائيل على السير نحو السلام »... « وان كارتر ينوي استطلاع احتمالات التوصل الى اتفاق سلام بين الرئيس المصري ، ورئيس الوزراء الاسرائيلي »، واكد انه « ليس للرئيس الامريكي خطة سلام محددة لكي يقدمها للسادات وبيغن اللذين سيلتقيان في كامب ديفيد » .

ويأتي موقف كارتر معبرا عن « حالة وسط » اذ اكد اكثر من مرة انه سيكون وسيطا نشطا ولن يتردد ـ اذا ما اضطر ـ عن تقديم بعض الاقتراحات التي يعتقد آن الطرفين سيأخذان بها .

■ كامب ديفيد الى اين ؟

في طريقهم الى « كامب ديفيد » هناك مجموعة من المقررات المتفق عليها مسبقا ، سواء باتفاق جرى الحديث عنه ، او اتفاق ضمني بناء على تقدير كل طرف منهم الى عوامل الصراع وتفاعلاتها . وعلى هذا الاساس فان نقاط الاتفاق هي :